تزييـف وتحـــريف

أخبرنا الله تعالى في القرآن الكريم ، الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ، – بتحريف الأمم السابقة للكتب المنزلة من الله تعالى إليها ، فيقول تعالى :

﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُم مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (سورة البقرة : ٧٩) .

وفي دراسة هامة قام بها عالم مشهور* حول : « الكتب المقدسة في ضوء المعارف العلمية الحديثة » ، مستنداً إلى علم الدراسة النقدية للنصوص يقول :

« إننا لنأسف حقاً لذلك الموقف الذي يهدف إلى تبرير الاحتفاظ في نصوص التوراة والإنجيل ببعض المقاطع الباطلة خلافاً لكل منطق ، إن ذلك موقف يسيء كثيراً إلى الإيمان بالله لدى بعض العقول المثقفة »[١].

ويقول : « ... ولكن تطور العلم كشف للمفكرين عن وجود نقاط خلاف بين (العلم وبعض الكتب المقدسة) . وبهذه الطريقة وجد ذلك الوضع الخطير الذي جعل اليوم مفسري التوراة والإنجيل يناصبون العلماء العداء . إذ لا يمكن في الحقيقة أن نقبل بأن رسالة إلهية منزلة تنص على واقع غير صحيح بالمرة .

وبناء على ذلك فليس هناك سوى إمكانية واحدة للتوفيق المعقول بين الأمرين ، وهي عدم قبول صحة المقطع الذي يقول في التوراة بأمر غير مقبول علمياً »[٢].

وكانت النتيجة الأساسية التي خرج بها المؤلف من دراسته تلك هي : « أنه لا يتناقض موضوع ما من مواضيع القرآن العلمية مع وجهة النظر العلمية »[٣] .

وقد قادته تلك النتيجة إلى إسلامه ، وعن منهجه في دراسته تلك يقول :

« لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أي فكر مسبق وبموضوعية تامة باحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث . وكنت أعرف قبل هذه

---

* د. موريس بوكاي – القرآن الكريم والتوراة والعلم .

(١) المرجع السابق – ص ١٠ .

(٢) المرجع السابق – ص ١١ .

(٣) المصدر السابق – ص ١٢ .

الدراسة وعن طريق الترجمات ، أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظاهرات الطبيعية ، ولكن معرفتي كانت وجيزة . وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث .

وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل ، أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب إلى أبعد من الكتاب الأول ، أي سفر التكوين ، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخاً في عصرنا .

وأما بالنسبة للأناجيل فما نكاد نفتح الصفحة الأولى منها حتى نجد أنفسنا دفعة واحدة في مواجهة مشكلة خطيرة ونعني بها شجرة أنساب المسيح . وذلك أن نص إنجيل متى يناقض بشكل جلي إنجيل لوقا ، وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمراً لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الإنسان على الأرض .

غير أن وجود هذه الأمور المتناقضة وتلك التي لا يحتملها التصديق ، وتلك الأخرى التي لا تتفق والعلم ، لا يبدو لي أنها تستطيع أن تضعف الإيمان بالله ، ولا تقع المسئولية فيها إلا على البشر ، ولا يستطيع أحد أن يقول كيف كانت النصوص الأصلية ، وما نصيب الخيال والهوى في عملية تحريرها ، أو ما نصيب التحريف المقصود من كتبة هذه النصوص ، أو ما نصيب التعديلات غير الواعية التي أدخلت على « تلك الكتب المقدسة »[1] .

« إن التذكير بكل هذه المواقف التي اتخذها الكتاب المسيحيون أمام الأخطاء العلمية في نصوص التوراة توضح جيداً الضيق الذي تجره ، وتوضح استحالة تعريف موقف منطقي آخر غير ذلك الذي يعترف بالأصل الإنساني لهذه الأخطاء وباستحالة قبولها كجزء من تنزيل إلهي »[2] .

وإزاء هذه التناقضات والتحريفات لم يجد المجمع المسكوني للفاتيكان الثاني (١٩٦٢ – ١٩٦٥) بعد ثلاث سنوات من المناقشات أن يصدر وثيقة عن العهد القديم (الوثيقة المسكونية الرابعة عن التنزيل – الفصل الرابع ، ص ٥٣) جاء فيها :

« إن هذه الكتب تحتوي على شوائب وشيء من البطلان »[3] فليس هناك إذن ما هو

---

(١) المصدر السابق – ص ٣ .
(٢) المرجع السابق – ص ٥٩ .
(٣) المرجع السابق – ص ٦٠ .

أخف من كلمتي « الشوائب » و « البطلان » وبالتالي استحالة تعريف أي موقف منطقي آخر غير ذلك الذي يعترف بالأصل الإنساني لهذه الأخطاء والتناقضات وباستحالة قبولها كجزء من تنزيل إلهي .

واستناداً إلى مثل تلك التحريفات والبطلان واستتاراً خلفها ، احتل اليهود أرض فلسطين المباركة ، وما بني على باطل فهو باطل وإلى زوال بإذن الله .

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النمل : ٧٦ ــ ٧٧) .

« بينما كان الصليبيون يشكلون بالأمس صهيونية مسيحية تشكل الصهيونية اليوم صليبية يهودية » .

رجـاء جـارودي